جاك سميث

jack smith

جاك سميث

Jack smith

حازم عمر زين العابدين

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء إلى أبي و أمي و عائلتي

إهداء إلى كل محب للقراءة

ارجو أن يكون على إستحقاق للقراءة

لأخذ العلم هذا كتابي الأول فالتمسوا لي أخطاء الكتابة

المؤلف:

حازم عمر زين العابدين

إستيقظت في الصباح الباكر حوالى الساعة السابعة لأذهب إلى المدرسة في شارع ((برلينت))كانت أشعة الشمس تسترق النظر داخل غرفتي وبعض الطيور تزقزق كانت السماء صافية ،كان يوما رائعا بحق.

ذهبت إلى خزانة ملابسي ارتديت ثياب المدرسة كان عبارة عن قميص أبيض و سروال طويل فضفاض بصراحة كنت أكره هذه الثياب لا أدري لماذا أكان كرهي من أجل المدرسة أم كانت الملابس أصلا غير لائقة بمراهق مثلي .

سمعت صوت أمي و هي تناديني من الدور الأرضي (جاك)(جاك)........

سرحت شعري و مضيت إلى الأسفل تلبية لنداء امي لا شك أنه كان نداء فطور الصباح المعتاد.

وصلت إلى الطابق الأرضي كان أبي(جون) و أخي (وليم) و أختي (كرستين)متحلقين حول طاولة الفطور و كانت أمي تمسك برسالة أحضرها ساعي البريد وقد

تغيرت ملا مح أمي عند قراءة الرسالة لكني لم أهتم بها على طبيعة الحال

ألقيت التحية و بدأت الاكل على عجل فقد كنت على موعد مع صديقي (البرت) لبدأ الدوري المدرسي لكرة القدم .

كان الطريق الى المدرسة طويل بعض الشيء

مشيت بصحبة اخي (وليم)كان مكتئبا لان اليوم كان الامتحان السنوي لديه

وصلنا الى المدرسة و قد كانت تعج بالطلاب قابلت فريقي المكون من احد عشر لاعب و وضعنا الخطة المراد تنفيذها اثناء المباراة .

-البرت: ارجو ان نكون اقوياء كفاية لكي ننتصر على فريق الخصم فهو خصم لا يستهان به

- جاك: ارجو ذلك و انا متوتر بعض الشيء لغياب مهاجمنا في الفريق

رن جرس المباراة في الوقت الذي كنا نتحدث

بدأت المباراة وكانت النتائج غير سارة طبعا لغياب المهاجم وكنت احدث نفسي و انا انظر الى النتيجة المشؤومة المكتوبة على اللوحة:

- يا ليت (جاكسون) يأتي و ينقذنا من هذه الخسارة الفادحة .

و لحسن الحظ جاء (جاكسون) في الوقت المناسب

- لماذا تأخرت ايها الغبي .

-(جاكسون): قصة طويلة دعنا نلعب و نرد اعتبارنا الان و سأحكي لك القصة بعد المباراة

- جاك: هيا

سررت لمجيئه جدا ولكن كان لدي احساس اننا سوف نخسر .

اعلن الحكم بصفارته نهاية المباراة

-البرت: خسرنا

عدنا ادراجنا نجر اذيال الخيبة لهذه الخسارة غير المفاجئة

كان الفريق يلوم(جاكسون) لكونه تأخر وهو أهم عضو في الفريق.

انا من نفسي لم احزن لانها كانت تجربة جيدة وممتعة و لعبنا بروح رياضية نظيفة.

رجعت انا و اخي و كان طوال الطريق يضحك علي و على فريقي الفاشل الذي خسر مباراة سهلة مثل هذه.

وصلت البيت لم يكن هناك احد داخله صعدت الى غرفتي ورحت في سبات عميق كدب قطبي

حلمت انني ذهبت في رحلة حول العالم وعندما عدت كان اخي وامي و ابي قد ماتوا و بقيت لوحدي ....لوحدي ....

ـافففففففففففففففففففففففففففففففف

وليم :هههههههههههههههههههه

كان اخي يرشني بالماء كي استيقظ لان موعد الغداء قد حان .

نزلت و تغديت بشراهة بعد تلك المباراة العنيفة و المجهدة.

امي: اريد ان اتحدث انا و ابوك معك في موضوع مهم يا (جاك)

ابي : نعم، بعد الغداء نتكلم

شعرت ان الموضوع سخيف كالعادة مثل ان لا ألعب بالشارع او لا أكسر نوافذ الجيران أثناء اللعب فلم اعطي للموضوع اهتماما أو اهمية.

بعد الغداء دعاني ابي الى غرفة الجلوس وكانت امي الى جانبه و تبدوا منزعجة على غير العادة

ابى: اجلس ،و اصغي إلي لان الموضوع مهم.

امي: نعم، مهم لمستقبلك يا عزيزي

- وما هو هذا الموضوع الهام الى هذه الدرجة

ابي: قررت بعد تفكير طويل ان ارسلك الى خالتك في فرنسا لتكمل تعليمك الثانوي و الجامعي.

امي :وسوف نأتي لزيارتك كل شهر

ابي: سوف تسكن مع خالتك و زوجها لكن اياك ان تزعجهما بتصرفاتك الصبيانية.

ذهلت لهذا الكلام فلم أكن أتصور الموضوع على هذه الجدية وكان بنفس الوقت صعبا على ان افارق عائلتي و اصدقائي الاعزاء و اخص بينهم (البرت) فقد كان صديقي و جاري منذ الطفولة.

لاحظت امي شرودي و انزعاجي فقالت مطمئنة:

- لا تقلق يا عزيزي سوق تسعد في فرنسا ولا تنسى انك سوف تقيم عند خالتك و عندها ولد في مثل عمرك تماما وسوف تكونان في نفس المدرسة و سوف يعرفك على اصدقاء جدد.

كلام امي خفف عني ذهولي و حزني

- جاك: متى موعد السفر؟

امي: بعد اسبوع تكون مدرستك اغلقت و سوف تسافر بعدها مباشرة

ودعت امي و ابي ، و صعدت الى غرفتي و جلست افكر كيف ستكون حالي في فرنسا بعيدا عن اصدقائي و عائلتي .

قررت ان اتناسى الامر و ان اجلس مع رفاقي قدر الامكان لأني في غربتي سوف افتقدهم

نمت دون ان ادري متى و اين وكيف نمت ؟

- استيقظ هيا تأخرنا

كان صوت اخي لينبهني على تأخري لبست ثيابي على عجل اخذت فطوري المتنقل كما اسميه

و قد كان خبزة محمصة و زبدة و عسل.

في الطريق الى المدرسة قابلت (البرت) لأنه جاري كما ذكرت سابقا

- جاك: كيف حالك ايها الخاسر

البرت: الحمد لله

البرت: ما بك تبدوا حزينا

-جاك: لا شيء

البرت: متى سوف تسافر الى فرنسا

- جاك: فر.... فرنسا ما ادراك انت

انا (البرت) لا يخفى علي شيء في هذه المنطقة

- جاك: كفى دعابات قل لي كيف

- البرت: امك جاءتني باكرا و قالت لي كل شيء

- وماذا قالت لك ايضا هل سوف تسافر معي؟

- نعم ،سوف اسافر معك

تذكرت فأنا لم اشاهد امي على عادتها تعد الفطور عندما استيقظت

- جاك: واين سوف تسكن في فرنسا

البرت: في بيت مستأجر انا و انت

- جاك: لكن انا .....

قاطعني صوته بثقة عمياء:

- البرت: اعرف تسكن عند خالتك (كاترين) و زوجها (جورج)

لكن امك غيرت المخطط كله فأبوك سوف يسافر اليوم ليستأجر بيت خاص لي و لك نسكن فيه اثناء دراستنا.

بعد ان سمعت هذا الكلام من (البرت) احسست ان سعادة الكون كله اجتمعت عندي أنا مع اني سوف افتقد اهلي.

كان اليوم في المدرسة كأي يوم لا اختلاف غير ان هذا الاسبوع فيه الامتحانات المركزية النهائية.

كنت انا و البرت في نفس الصف حتى في نفس المقعد

ليست صدفة بل هي هكذا دائما
منذ الصف الاول و انا و(البرت)في نفس الصف و المقعد

وكنت دائما اذكى من البرت و كنت اغششه دائما و كل علاماته من جهدي و دراستي

كان شرط البرت ان اغششه و ان يعلمني هو لعب كرة القدم و ها انا ذا اجيد لعب كرة القدم بعد ان علمني (البرت) كيف العبها بمهارة.

انتهى اليوم الدراسي و عدت انا و البرت و اخي و قد دعوته الى منزلي لكي نخطط من اجل السفر الى فرنسا.

دخلنا و القينا التحية على امي و عرفت من اصطحابي الى البرت و انا بهذا السرور اني عرفت كل شيء منه.

- جاك: كيف سوف نتدبر امورنا هناك

امي: سوف ارسل معكم (لويسا) لكي تخدمكم هناك تغسل و تطبخ وتصرف عليكم المال الذي سأعطيها اياه

- جاك: حسنا

التفتت الى البرت قائلا:
سوف تحب (فرانك) لأنه في نفس عمرنا و سوف يكون في نفس مدرستنا و سوف اطلب منه ان يعرفنا على رفاقه.

البرت : (فرانك) ابن خالتك اليس كذلك!

- جاك: نعم

ودعنا (البرت) و رحل

في اليوم التالي رجع ابي من فرنسا

ابي(جون) : وجدت لكم بيتا مثاليا لكم وقريب لمدرستكم

- جاك: شكرا لك ابي

- استعد يا (جاك) بقي يومان على سفرك

هكذا جاءني صوت امي حزينا على فراقي

-جاك: حسنا يا امي

ولا تنسي ان ترسلي الي رسائلك و تطمئنيني على احوالكم

-امي: حسنا يا بني

في خلال اليومين جاء ابي و بيده اوراق

قال لي بخشونة غير معتادة منه :

ابصم هنا لكي اصدر لك جواز السفر

بصمت على عدة اوراق كما قال لي ابي

ابي(جون):سوف يكون جواز سفرك جاهز بعد يوم كامل

مضى اليومان كلمح البصر ولم اشعر إلا و انا و

(البرت)في العربة التي سوف تقلنا الى باريس في فرنسا.

كانت امي و ابي على الباب لتوديعي

لكن اخوتي كانوا نائمين وكانت شيء جيدا لأني لا استطيع فراقهم ايضا.

مشت العربة و كانت مع كل خطوة تخطوها امي تذرف دمعة و ابي كان الحزن باد على وجهه.

لم يودع (البرت) احد لأنه كان يتيما وقد كان سعيدا بهذا للمرة الاولى انه يتيم على عكسي فقد كنت حزينا في بادئ الامر لفراقي اهلي وكنت اتمنى لو اني يتم لكي لا احزن على فراق احد

سألت البرت:

هل تظن ان فرنسا جميلة كبريطانيا

البرت: لا ادري لأني لم اغادر لندن حتى.

البرت :هل سوف ترجع الى بريطانيا بعد حصولك على الشهادة الجامعية

- بكل تأكيد ، ألست انت كذلك

البرت :لا ، لن ارجع الى بريطانيا فليس لي احد هناك

لم أعر كلامه اهتماما لأني اعرف انه لا يستطيع ان يتركني و يعيش لوحده في فرنسا.

برغم وعورة الطريق فقد كان خلابا شاهدنا جبال – اشجار مزهرة-عصافير و زقزقتها –فراشات – وكانت السماء ساطعة والشمس تداعب وجنتينا

اخذنا اكثر من استراحة على الطريق لأن الخيول كانت متعبة وكنا في كل مرة ناكل اطيب الطعام الذي اعدته لي امي الغالية

كل مرة انظر الى الطعام اتذكر امي و حنانها و صوتها الحنون الناعم الذي كان يداعب آذاني و يريحها عند سماعه حبست الدموع في عيني لكي لا اري(البرت) اني ضعيف .

و صلنا على الحدود البريطانية كان هناك طابور كبير لمعاملات الدخول و الخروج و الجوازات لكن الامر تم بسرعة نسبية

انتقلنا بعدها الى السفينة لكي ننتقل من بريطانيا الى فرنسا عبر القنال الانجليزي

بعد سفر عدة ساعات مرهقة وصلنا الى فرنسا و اخذنا نسأل عن عنوان منزلنا الجديد

كان منزلنا على حد قول ابي انه مريح – واسع و فيه كامل الاثاث

كان هذا اختصارا علينا لأنه كان لابد ان نصل مرهقين ولا طاقة لنا بشراء الاثاث ساعة وصولنا

نسيت ان اخبركم عن (لويسا)فقد كانت شابة في الخامسة و العشرين من عمرها لكنها كانت طول الرحلة صامتة تقرأ احد الكتب ل (تشارلز ديكنز)

كانت و على ما تبدو عطوفة رحيمة

بعد سؤال الناس في المنطقة وصلنا الى منزلنا كان جميل جدا بنفس جمال الطبيعة و السهول الفرنسية

كان البيت عبارة عن طابقين به أربع شرفات واسعة

يحيط بالمنزل حديقة مسورة بسور خشبي ملون باللون الاحمر وكان على الشرفات قصيص من النباتات و الازهار.

نظرت الى (البرت) كان اللعاب يسيل من شدقيه لشدة اعجابه بالمنزل

كان أشبه بقصر ملك بحق

بالنسبة إلي على الاقل

دعوت (لويسا)و(البرت) للدخول كان البيت من الداخل اجمل حتى من الخارج من أجمل الاثاث و احسنه جودة

حتى طلاء الجدران كان بالألوان الزاهية الجميلة

-جاك: غدا سوف نزور خالتي

البرت : حسنا ،احلاما هنيئة فانا متعب جدا و خاصة مع هذه الاسرة الفاخرة التي تحببك بالنوم حتى ان كنت لا   تشتهيه اصلا.

- جاك: احلاما هنيئة

جلست مع (لويسا)قليلا لأتحدث معها لكي نكتب لأمي و ابي و اخبرهما عن و صولنا و اعجابنا البيت

كتبت في الرسالة:

الى: امي و ابي و اخوتي الاعزاء

بعد التحية و السلام

وصلنا بخير الى فرنسا و اعجبنا بالبيت الذي استأجرتموه لنا .

ابلغكم سلام من البرت و لويسا ومني

اشتقت اليكم

ابنكم العزيز:

(جاك سميث)

اعطيت الرسالة الى السائق لكي يوصلها الى البريد

رجعت الى المنزل و دخلت غرفتي الخاصة بي

كانت اشبه بمجلس الامراء لا غرفة نوم فتى مراهق

استلقيت على السرير و رحت في عالم الاحلام المترامي الاطراف ، اللانهائي

استيقظت على زقزقة العصافير و إِشعة الشمس كأنها خيوط الذهب الطويلة

نزلت الى الطابق الارضي كانت هناك طاولة صغيرة نسبة الى طاولتنا في بريطانيا

كانت الطاولة مليئة بأصناف الطعام الجبن-الزيتون – خبز محمص-مربى الكرز-انواع لا تحصى

من اين كل هذا الطعام ؟

هكذا كان سؤالي ل (لويسا)؟

-لويسا: بعد ان ذهبت الى النوم خرجت مع السائق و اشتريت كل هذا الطعام .

جاءني صوت من خلفي : (البرت)

- استيقظت

-نعم ،هل تراني نائما !!

ضحك ضحكة مصطنعة:

ههههههههههههههههههه

جلسنا نأكل الى ان شبعنا

- جاك: دعنا نذهب الى خالتي

البرت:- حسنا ، سوف اصعد لأرتدي ثيابي

-جاك: هل ستذهبين معنا

لويسا: نعم فاني اريد التعرف على خالتك و على اناس جدد ايضا كوني لا اعرف احدا هنا

- جاك: استعدي اذا

في هذا الوقت نزل (البرت) من الطابق العلوي

خرجنا سويا الى منزل خالتي كان منزلها في نفس منطقتنا ولا يبعد اكثر من عشر دقائق مشي على الاقدام

وصلنا املى البيت و شاهدت في الحديقة إمرأة تشبه والدتي الى حد بعيد لم يكن صعبا على ان اعرف انها خالتي كم تغيرت عن اخر مرة رأيتها فيها

كانت تسقي الزهور و تقلم الاشجار

اردت ان امزح معها قليلا

قلت لها سائلا:

أين يقع فندق (الشيراتون) رفعت نظرها الي تجمدت لحظة ثم راحت تضمني بين يديها الدافئتين

ادخلتني البيت كان في نهاية الغرفة مدفئة من الخشب منظرها يزين الغرفة كان بجانب المدفئة رجل يقارب الاربعين سنة عرفته مباشرة انه: جورج زوج خالتي

نظر الي و قال انت ألست: (جاك)

- جاك: نعم انا جاك بشحمه و لحمه

جورج: وماذا جئت تفعل وحدك في باريس ؟

كان سؤاله فظا بعض الشيء

-جاك: جئت انا و رفيقي (البرت) و الخادمة(لويسا) لكي اتعلم و آخذ الشهادة الجامعية

(جورج)-زوج خالتي: ولماذا فرنسا بالذات ؟

اجاب عني البرت:

لان جامعاتها احسن جامعات في اروبا و يوجد فيها فرص عمل اكثر

كانت اجابة البرت مثالية و انقذتني من هذا المأزق فلم اكن ادري انا نفسي لماذا فرنسا- باريس بالذات

جورج: حسنا

كاترين(خالتي): ماذا تريدون ان يكون غداء اليوم

جاك: اي شيء ليس مهم

لويسا: سوف آتي معك كي اساعدك على تحضير الطعام

جورج: هل سمعت عن الحرب العالمية الاولى التي بدأت منذ حوالي اسبوعين

رد البرت بسرعة و حشرية :

لا ، لم نسمع عنها شيء

(جورج) :انها سوف تدمر الكون وربما سوف تصل الى اسبانيا و ربما الى تركيا و البلاد العربية

- جاك: ماذا تقول ؟

(جورج) :نعم كما سمعت

(جورج) :ألم تقرأ جرائد في حياتك كلها

في هذه اللحظة دخلت خالتي و لويسا الى الغرفة و وضعوا الطعام على الطاولة كانت رائحة الطعام تفتح الفم عن آخره لكي تأكل

البرت: يا سلام ما هذه الرائحة

خالتي : تفضلوا الى المائدة فانا حضرت الطعام خصيصا لجاك لأني اعرف انه يفضل هذا النوع.

اكلنا بشراهة لان الاكل كان لذيذا بحق فقد ذكرني بأكل امي

حدثت نفسي :اين رد ابي و امي على رسالتي؟

دار بيننا بعض الاحاديث الجانبية عن فرنسا و طقسها و المدارس و الجامعات التي يمكن ان ادخلها بعد سنتين فقد قررت ان ادخل فرع الطب البشري في اختصاص جراحة قلب .

- جاك: الحمد لله ،شكر لك يا خالتي على هذا الطعام فقد كنت بحاجة ماسة اليه

البرت: نعم ،لذيذ الى حد لم اتصوره

ذهبت خالتي و لويسا الى المطبخ ليعدوا الشراب

فجأة دخل شاب في مثل عمري تقريبا لكن يبدوا اكبر مني لضخامة جسمه.

القى التحية

لم يكن يعرفني ولا انا اعرفه لكن لم يكن هناك داع للذكاء لكي اعرف ان هذا الشاب هو ابن خالتي(فرانك)

عرفته على نفسي و على صديقي العزيز (البرت)و على الخادمة(لويسا)

فرح جدا خاصة وانما انا و البرت في نفس عمره ووعدني انه في الغد سوف يعرفني على اصدقائه و المناطق المهمة .

رجعنا الى بيتنا في منتصف الليل كان على مدخل البيت رسالة حالما رأيت الرسالة ابتهجت اساريري و سررت جدا مسكت الرسالة و كنت متلهف لفضها فتحتها و بدأت أقرأ

((ابننا العزيز))

نحن في احسن حال و لا ينقصنا غير ان ترجع الينا سالما و معك شهادة جامعية

اخوك و اختك اشتاقوا لك

ارجوا ان تكون اعجبتك الإقامة في فرنسا

((عائلتك))

ارتحت بهذه الرسالة جدا و قد نوينا ان نذهب غدا و نسجل في المدرسة المجاورة لنا

وسوف يكون معنا ابن خالتي فرانك لانه يعرف مدير المدرسة

في الصباح كان الجو كئيبا بعض الشيء لماذا لا أدري لكن على كل الاحوال كنت مستعد للذهاب الى المدرسة للتسجيل بها.

نزلت الى الدور الارضي كان فرانك و البرت يحتسيان الشاي الساخن

البرت: استيقظت أخيرا ايها الملك

جاك: نعم

فرانك: دعونا لا نتأخر عن المدرسة لانها سوف تغلق بعد ساعتين

انطلقنا مباشرة الى المدرسة و تركنا (لويسا) في البيت لكي تعد الطعام

وصلنا الى المدرسة بعد حوالي دقيقتين فقد كانت قريبة الى حد ما

دخلنا قاعة المدير و قد بدأ (فرانك) يتحدث معه بفرنسية بحتة و بسلاسة مطلقة

اعطوني استمارة و كتبت كل معلوماتي و دفعت رسوم رمزية فقد كان التعليم في فرنسا مجانا لكل الناس

و فعل (البرت) كما فعلت لكني دفعت عنه لاني كنت مكلف بكل رسوم رحلته معي و لا يوجد احد يدفع عنه

كان الدوام المدرسي يبدأ بعد اسبوع

كنت لا احب المدرسة و لا أكرهها ايضا فقد كنت اعتبرها تسلية و اضاعة للوقت فليس هناك ما تفعله بالبيت لوحدك

رجعنا من المدرسة الى البيت مباشرة و في الطريق كان في السماء بعض الطائرات الحربية الفرنسية

جاك: لماذا هذه الطائرات تحلق الان و هي حربية كم أرى؟

فرانك: انها الحرب يا عزيزي فرنسا مشاركة ضد ألمانيا و اليابان

ارتعدت لهذا الكلام فقد كان يشكل خطر بالنسبة لي

فرانك: لا تقلق ،لن تصل الحرب الى هنا

لم يرحني كلامه لانه ما من دليل على كلامه ، فالحرب كالنار تنتشر بسرعة و الى كل مكان و ربما الى بريطانيا موطن عائلتي

دعوت (فرانك)الى الغداء و لبى دعوتي تناولنا الطعام ولكن انا بالذات لم يكن لي نفس في تناول الطعام بعد هذه الاخبار غير السارة

في اليوم التالي كان كأي يوم ما عدا أني تعرفت على اصحاب (فرانك) كانوا لطفاء و مرحين و كانوا معي في نفس المدرسة

في كل يوم كانت الطائرات الحربية يزداد عددها و اصبحت تنفذ طلعاتها في الليل احيانا

و في بعض الاحيان كنا نسمع بعض اصوات الانفجارات و اطلاق النار و كانت المصفحات الفرنسية تسير في الشوارع دائما و بعض الاحيان يفرض حظر التجوال ليلا

كنت ارسل كل اسبوع رسالة الى ابي و امي و لم اكن اخبرهم بتطور الامور في فرنسا و لا عن الحرب التي بدى أنها سوف تحط رحالها في وسط باريس و ربما بدون مبالغة بحديقة منزلنا

بدأ الدوام المدرسي و كنا نذهب انا و البرت و فرانك الى هناك بواسطة الدراجات الهوائية لانها كانت نوع من التسلية الضرورية وكانت توفر علينا عناء السير

كانت مدرستنا جميلة من الداخل و الخارج و كانت المناهج الدراسية صعبة نوع ما ربما لاني كنت لا أعرف التكلم باللغة الفرنسية ولم يكن احد من المعلمين يجيد التكلم بالإنجليزية كان (البرت) سريع التعلم وكان أحيانا يتكلم مع (فرانك) بسلاسة

كانت الجرائد تصل الى بيتي يوميا و كانت دائما تتنبء باقتراب الاستعمار الالماني لفرنسا

لم اكن ادري ماذا افعل لا انا ولا (البرت) و لا حتى (لويسا)

فقد كنت كلما اقول لهما دعونا نرجع الى بريطانيا

البرت: ماذا ، لا يا رجل لن نضيع علينا الشهادة الجامعية

الى ان جاء ذلك اليوم الذي كنا ثلاثتنا نخشاه

استيقظنا قبل شروق الشمس على أصوات ضربات عنيفة على الباب

نزلت مسرعا من غرفتي الى الباب فتحته و قد صدق حدسي

كانت القوات الفرنسية تريد ان تفتش البيت خوفا من ان نكون خبئنا الاسلحة او احد الالمانين المطلوبين

بعد تفتيش دقيق خرب البيت و جعله رأس على عقب لم يجدوا شيء

قرر قائد المجموعة العسكرية انشاء حاجز على جانب البيت و الاستحواذ على الحديقة لتكون موقف للعربات المصفحة وقد انشاء الحاجز العسكرية

ومنذ انشاءه لم نكن سعيدين ابدا و خاصة ان البيت اصبح نزل للجنود المتمركزين على الحاجز للاستحمام و للغداء و احيانا للنوم و طبعا كان هذا مقبولا امام تطور الاوضاع الذي حدث بعد اسبوعين

فقد قرأت في الجريدة ان الالمان اصبحوا على بعد عدة اميال من باريس في احد الضيع القريبة

و ها هم الالمان جاءوا الى منزلنا و عندما رأى الالمان الحاجز منصوب بالقرب من منزلنا بدأ اطلاق النار و كأنه سيل أو بمعنى أدق كانت ابواب الجحيم

وفتحت ....على مصرعيها

بدأ إطلاق النار من القوات الفرنسية من جهة و من القوات الالمانية من جهة أخرى

و لجأ بعض القوات الفرنسية الى بيتنا و انتشروا على نوافذه و اصبح المنزل مصفاة بها فتخات عدة إثر

الطلقات النارية كنت أتمنى ان ينتصر الفرنسين في هذه المعركة لكن كان العكس .....العكس المميت

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

انتصرت القوات الالمانية و دخلت المنزل و أخذت الاسلحة كاملة و المصفحات التي كانت موجودة في حديقة منزلنا .

لكن الامر لم يتوقف هنا فقد تم ضربنا و إهانتنا لاننا كنا مضيفين للجنود الفرنسين و تم أخذنا الى السجن الالماني (السجن الفرنسي سابقا) الذي احتلوه الالمان كما احتلوا تقريبا فرنسا كاملة

في السجن كانت حياتنا تعيسة الى اقصى حد حيث كنا نعامل أسوء معاملة وما زاد الطين بلة اننا بريطانين اي ان دولتنا هي الخصم اللدود لالمانية .

حدثت نفسي :

احيانا يجتمع الحظ السيء كله في وقت واحد

و عندما تريد أن يأتيك الحظ الجيد ساعيا اليك

يأتيك الحظ السيء من حيث لا تدري

بالفعل :تجري الرياح......................

كنت قلق من اجل (لويسا)فهي إمرأة لا تقوى على هذا التعامل العنيف

كان (البرت) منزعجا الى اقصى حد و تمنى انه لم يأتي معي الى فرنسا

وكان دائما يقول: اي لعنة حلت علي حتى اتيت معك

وان المال اعمى قلبه

لكن الذي لم أكن افهمه هو (ان المال اعمى قلبه)اي مال هذا لا افهم و هو لم يقل لي حتى اي مال مع اني صديقه المقرب .

بعد اسبوع من ابشع الاسابيع التي قضيتها في حياتي و التي احسست انها كادت تقارب السنة وليس اسبوع

تم استدعاء (لويسا)و (البرت) الى القائد العسكري الالماني ثم............ لم يعودوا

كنت احدث نفسي الى اين ذهبوا و ها انا ذا و حيد مع وحوش..........لا تعرف الرحمة

كنت أتخيل انهم قتلوهم او اعدموهم

او اخلوا سرحهم لكن لماذا يخلوا سراحهم و انا لم يفعلوا

هذا السؤال الذي لم تكن لدي اجابته

كانت الحراسة تشتد علينا يوم بعد يوم لماذا لا ادري

و بعد شهر من الجوع و الضرب و الشتائم قرروا أن يأخذونا الى الساحل الشرقي الفرنسي لكي نساعد في اعمال البناء

بناء ماذا ....لا ادري

بعد سفر دام يومين سير على الاقدام و صلنا الى الساحل الشرقي لفرنسا

قالوا لنا اننا سوف نعمل لنأكل فقط............بإختصار كنا مجرد عبيد عند الالمان

جاء المهندس الالماني و قال اننا سوف نحفر الخنادق لطول اكثر من اثنين و عشرين ميل بواسطة ادوات بدائية جدا

تمنيت ان اكون عبدا في القرون الوسطى ولا هذا العمل الذي سوف ينهي حياتنا دون ان يحزن علينا احد..............اي احد

عملنا لمدة اسبوع وقد كانت هذه المدة كفيلة بان تجعلني اكون في عداد الاموات لكن حظي ان جسمي كان اقوى من هذا ولم ينهار

كل من كان يموت من التعب او الجوع يرمى في البحر لتأكله الاسماك و ادركت انه يوما ستكون نهايتي نفس هذه النهاية العفنة القذرة

كنت افكر : ماذا حل بخالتي و ابنها الان و ماذا يفعل اهلي الان و اين هو (البرت)

في احد ايام العمل الشاق جاء موكب من السيارات الفاخرة التي لم ارى مثلها في حياتي نزل منها شخص مضحك الشكل كان له شارب ضئيل اسفل انفه فقط و كان قصيرا نوعا ما لكنه و على ما ابداه المهندس الالماني و العمال انه شخص ذو مكانة مهمة كان يتجول في كافة ارجاء المشروع وكان يبدي الملاحظات بشكل كبير ،بعد ان رحل سألت صديقي في العذاب و كان فرنسيا كان اسمه(تيناردية) ان هذا الشخص من هو؟

تيناردية: هتلر

جاك: هتلر من ،فلم اسمع عن هذا الاسم في حياتي

تيناردية: هتلر وراء كل هذا ،فهو الزعيم النازي اي رئيس المانيا

جاك: ذاك الحقير ، لو يرجع الزمن الى الوراء لخمس دقائق لفتحت رأسه بالحفارة التي بيدي

تيناردية ،بصوت ينم عن فرح حزين:

ههه ، كانت الجنود المحيطة به جعلت جسدك كالمصفاة حتى قبل ان تفكر بهذا

جاك :الموت اجمل من هذا الموت البطيء

اعملا ايها الاغبياء نطعمكم من اجل ماذا ،يا حيوانات هكذا جاء صوت الضابط الالماني ،بلهجة حقيرة

بعد شهرين من العمل انتهى الخندق اللعين الذي اضنى جسدنا وجعل جسدي كومة لحم و عظم فقط بدون شكل

في اليوم التالي وصلت كتائب من الجنود الذين وصل عددهم بالملاين و المصفحات و المدافع الثقيلة و طرود الذخيرة ونحن عملنا معهم مقاتلين و اعطونا الاسلحة الكافية و البسونا الثياب العسكرية الالمانية باختصار نحن الان جنود النازية الالمانية

بعد عدة ايام وصلت اخبار ان امريكا و بريطانيا متأهبة للهجوم على الساحل الشرقي في صباح الغد

كان يغمى علي من جراء الخبر الذي سمعته من احد الجنود الذين كانوا معنا اي ربما غد هو اليوم الاخر في حياتي كلها

اخذنا اماكننا استعداد للحرب الذي سوف تقام غد و ارجوا ان ابقى حيا لكي ارى امي و ابي و اخوي

بعد اقل من اثني عشر ساعة من التأهب و تنظيف السلاح و تعبئة المدافع بالبارود و وضع الاكياس الرملية بدأ القصف المدفعي الكثيف لكن جهودنا ببناء الخندق لم تضع سدا فقد كان الخندق قوي لدرجة خارقة فقد تحمل اكثر من مئتي صاروخ و مدفع جوي و بحري ولم يتأثر لكن الشظايا أكلت كثيرا من اجسام الجنود .

وصلت القوات الانجليزية و حطت على الشاطئ و بدأ الجنود يقتربون من الخندق و آذاننا لم تكن تدرك الاصوات فقد كان خليط من اصوات المدافع - الرصاص-هدير محركات السفن و الطائرات و حتى أنين الجرحى من الطرفين .

بينما انا متمركز على نافذتي و اطلق النار من مدفعي الرشاش نزلت قذيفة تحت نافذتي و قد طارت شظية و استقرت في كتفي الايسر، توقفت عن اطلاق النار و

بدا الدم ينزف بلا هوادة، لففت مكان الجرح بالشال الذي كنت الفه حول رقبتي لان الجو كان بارد جدا

بعد قليل جاءني احدهم ولم اتبين ملامحه بسبب الظلام الذي خيم على المكان بعد هذه القذائف التي انهالت علينا كالمطر كان (تينارديه) اقنعني بان نهرب من الممر السري المخصص للقادة و قد كان مفتاحه مع القائد

جاك: كيف سنحصل على المفاتيح

تيناردية: القائد مات

جاك :أخاف ان يشعر علينا احد هؤلاء الاوغاد.

تيناردية :لا تخف من يقف بوجهنا سوف نقتله بدل ان يقتله الانجليز ، ولا تنسى ان الكل مشغول بالدفاع عن نفسه ، والظلام هنا حالك كما ترى

جاك : حسن ، هيا بنا

سرنا و نحن ندوس على جثث بشر لم أكن ادري إن كانت لاشخاص احياء ام اموات

بعضها كنت اشعر بانفاسه و بعضه كان مستلقي كالميت بلا حراك ....و الى الابد

وصلنا الى المكان المنشود ذهلنا من ذاك المشهد الذي لم يكن بالحسبان

كان الباب السري مفتوح و تطل اشعة شمس الغروب منه معنى هذا ان جميع من كان في الخندق قد هربوا الا الاغبياء و الذين اصبحوا جثث هامدة

هيا اسرع ،لم يتبق وقت سوف يقتحم الانجليز المكان

كان صوت (تيناردية).

خرجت و بدأنا الركض سويا الى اين

.................الى المجهول

وصلنا الى قرية قريبة كان القصف العنيف قد وصل اليها ودمر بعض بيوتها كان المنظر من بعيد كتلة من الاسمنت شبه المهدوم و يخرج منه النيران من طرف و الدخان من طرف اخر و صراخ الجرحى من كل مكان كل مكا ن بدون...............استثناء

وصلنا الى منتصف القرية وقد كان اغلب سكان القرية هجروها هم و عائلاتهم حفاظا على ارواحهم

كنت امشي ببطء لاني تعب من كثرة الركض طول المسافة و من الخوف و عدم معرفة المصير الذي سيحل بي و بصديقي(تينارديه) بعد زمن.

كنا نتجول بين بيوت القرية و ننادي بأعلى صوتنا :

هل من احد نساعده ، وكانت اعيننا لا تكف عن

البحث بين الانقاض وظهر من احد المنازل بعد ان فتح بابه طفلة صغيرة لا تكاد تتجاوز العاشرة من عمرها اخذناها معنا الى القرية المجاورة آملين ان يكون اهلها لجؤوا الى هناك

في طريقنا الى القرية شاهدنا جسم ممدد على الارض و قد كان يبدو من بعيد انه ميت ، ركض (تينارديه) اليه و بقيت الفتاة معي ،شاهدت (تينارديه) يتحسس نبضه ،بعدها بثوان صرخ بأعلى صوته انه حي

ركضت بعد ان حملت الصغيرة بين يدي و عندما وصلت الى الرجل المصاب و تجمدت اعيني في محاجرها فقد كان....................هو ....صديقي

تينارديه: ما بك ، هل تعرف هذا الشخص
أمعنت النظر فيه بدقة نعم انه هو ليس وهما او خيال
جاك: نعم، انا لا أعرف أحد سواه انه صديقي (البرت)

تيناردية: ومن هذا المدعو(البرت)

جاك: صديقي البريطاني ، احضرته معي لندرس سويا
في الجامعة ،ثم بعد أن سجنا أخرجوه هو و (لويسا)

جاك: دعنا نسعفه قبل أن يموت فهو ينزف بشدة

تينارديه: لا يمكننا ان نسعفه هنا في هذه القرية
فالعساكر البريطانيون سوف يصلون الى هنا بغضون
بدقائق كون هذه القرية الاقرب الى الخندق

جاك: نسيت ، حسنا كيف سننقله الى القرية المجاورة

نحتاج عربة او حصان فالقرية التالية بعيدة ولا يمكننا حمله كل هذه المسافة ولا تنسى ان كتفي مصابة

تينارديه: فلنبحث على عربة او حتى دراجة هوائية لكن بسرعة و الا قتلنا بنيران الحقراء الانجليز

رحنا نبحث بين البيوت التي كانت على حالها و لم تصل اليها ايادي الدمار و الخراب و كانت الطفلة الصغيرة تبحث معنا .

وجدتها و جدتها

هكذا جاء صوت الصغيرة ينم عن فرح عارم لمساعدتها لنا او فلنقل كنوع من رد الجميل

وصلت الى حيث كانت الصغيرة وكانت الى جانبها عربة يجرها حصانان لكن و لسوء حظنا لم يكن هناك اي حصان كانت العربة فقط

جاك (انا) : سوف نجر هذه العربة انا و انت وسوف نضع في العربة الصغيرة و (البرت)

تيناردیه: حسنا ، لكن ارجوك بسرعة لم يعد الوقت في صالحنا

كان صوته يدل على خطورة الموقف التي لم اكن اشعر بها كنت احسد الطفلة لانها لم تكن تعرف ما يحدث

جررنا العربة مسافة طويلة جدا و قد كان الطقس باردا وكان جرحي بدأ يؤلمني جدا و خاصة ان الجو كان يسير عكس مصالحي ،وصلنا بعد عناء طويل الى قرية تدعى (نيس) سألنا أحد أهالي القرية عن طبيب ماهر ليعالج كتفي و صديقي (البرت) من الاغماء

شاهدنا رجل عجوز يسير في احد الطرقات

تيناردیه: يا عم ، اتعرف طبيب قريب من هنا

العجوز : نعم ، يا بني ، انه خلف الكنيسة التي امامك

تينارديه :شكرا ،لك ايها العم الطيب

وصلنا الى منزل الطبيب و عالجت كتفي و قال الطبيب ان (البرت) سوف يبقى يوم كامل على هذه الحال في غيبوبة فقد نزف الكثير من الدم و يحتاج الى غذاء

الطبيب: من الذي احدث بكتفك هذا يا ولدي.

جاك: انها الحرب ، فقد كنت مقاتل على الساحل الشرقي ضد بريطانيا .

الطبيب : هل تعني ان البريطانين سوف يصلون الى هنا في القريب العاجل ، حمدا لك يا رب

ادركت من كلامه انه كان يعاني من و جود الالمان هنا في فرنسا فقد سمعت ان الالمان كانوا يسرقون كل

المقتنيات الغالية و الادوات التي كانوا يستخدمونها في الحرب ،حتى حيوانات المزارع و خاصة الخيول كانوا يأخذونها عنوة من اصحابها .

تيناردية : اتعرف هذه الفتاة يا سيد ....

الطبيب : انا ، الطبيب كوستاف ، ارني الفتاة

نعم اعرفها فقد نزح اهلها من البارحة الى قريتنا و نسوها هناك وهم الان يبحثون عنها ، وكانوا ينون الرجوع الى قريتهم من اجل العثور عليها

تيناردية : رائع ، سوف نعطيك الفتاة على ان ترجعها الى اهلها

كوستاف : على الرحب و السعة

رحلنا انا و (البرت)و (تيناردية) و تركنا الفتاة عند الطبيب على ان يعيدها الى اهلها

طبعا (البرت)كان مازال غائبا عن الوعي

استأجرنا غرفة في احد الفنادق لليلة واحدة فقد قررنا الذهاب و الرحيل الى بريطانيا حالما يستفيق (البرت) من غيبوبته

كان الفندق لا بئس به كانت غرفتنا تتألف من سريرين للنوم و حمام خاص بنا و كان الحمام اجمل ما في الغرفة لاننا لم نستحم منذ شهور

استحممنا ولكن (البرت) لم يستفق

تناولنا بعض الطعام و كنا محتفظين بأسلحتنا و ثيابنا العسكرية .

اين ....ااا نا

كان هذا صوت (البرت) متقطع

اريد ما ء

جلست الى جواره و احضرت له بعض الماء و اعددت له حساء مرق الدجاج فقد كان مفيد له حسب توصيات الطبيب.

بعد برهة من الزمن استجمع قواه و بدأ بالتحدث بشكل جيد

كان في ذهني العديد من الاسئلة التي كنت اود ان طرحها عليه ، و اول هذه الاسئلة :

كيف ذهب من السجن ولم يأخذني معه؟

البرت: جاك ارجوك سامحني ....ارجوك

انا شخص نذل ولا استحق عطفك على ؛ و بدأ يجهش بالبكاء

جاك : هون عليك يا رجل انت لم تفعل لي شيء

البرت: بل انا الذي فعلت و فعلت الكثير ايضا

البرت : اسمعني جيدا سوف اقص عليك كل شيء من البداية الى النهاية ، فأنا خنت الصداقة من اجل المال

لكن امسك اعصابك لان خيانتي لك اقل من خيانة اهلك لك

اصبح عقلي ساحة لتضارب الافكار :خيانة – صديقي- مال – اهلي، بحق السماء انا لا افهم شيء

جاك : تكلم بسرعة فلم اعد اطيق صبرا

البرت: انت هنا الان في ساحة موت و مجيئك الى فرنسا مخطط له لحظة بلحظة و كان اهلك قد ارسلوك لكي تموت هنا و يتخلصوا منك .... الى الابد

كانت البداية منذ ان تسلم امك و ابوك رسالة قادمة من (اسبانيا) تنص على انك اصبحت انت (جاك سميث) مليونير من وراء وفاة عمك فانت وريثه الوحيد

جاك : عمي من ليس لدي اي عم ،انا جاك مليونير

البرت: نعم ،(جون)ليس ابوك،(كرستين)ليست اختك،(جورجيت)ليست امك ،(وليم) ليس اخوك ،(عائلتك) ليست عائلتك، لان اهلك اخذوك من الملجأ

لان (جون)ابوك ، و(جورجيت)امك، في بداية زواجهما لم ينجبا الاطفال فقررت (جورجيت)امك ان تتبنى طفلا من الملجأ ،و عندما ذهبا الى الملجأ وجداك انت (جاك سميث) .

توفت امك الحقيقية و ابوك الحقيقي في حادث سيارة و هما قادمان بك من اسبانيا موطنك الاصلي الى لندن فكبرت في الملجأ وعشت فيه و بعد مدة من الزمن اصبحت (جورجيت) حاملا ب (وليم) و بعدها ب(كرستين) و عشت معهما على انهما اخوتك و ابوك و امك و اسمك الحقيقي (بيل لونس)

سوف تسألني لماذا لم تتخلى عنك (جورجيت) بعد ان اصبح عندها طفلان ؟

سوف اجاوب عن سؤالك حتى دون ان تسأله اصلا

لم تفكر امك التخلي عنك لانها علمت ان لك عم غني جدا و من اثرياء اسبانيا فقررت ان ترسلك للتخلص منك الى فرنسا بعد علمهما بالحرب التي كانت المانيا اشعلتها ، تم اختيار فرنسا كونها قريبة من المانية و هي اول ما سيفكر الالمان في احتلاله و بالفعل هذا ما حصل ، لكنك لم تمت في نهاية الامر

اما عن ارسالي معك و (لويسا)الى فرنسا فقد كنا معك لكي لا نجعلك ترجع الى بريطانيا ابدا و تموت تحت تراب فرنسا دون ان يدري بك غير خالتك و ابنها (فرانك)، لربما لاحظت انه عندما بدأت تقرأ في الجرائد عن الحرب العالمية قررت ان ترجع الى لندن لتستقر مع عائلتك (الغير حقيقية) فقد اقنعناك انا و (لويسا) انه ما من داع الى ذلك .

لويسا توفت في مرض في القلب اي لم يبقى غيري ليقول لك ما حدث و الا لكنت مت و لم تعرف الحقيقة

جاك: لا اصدق ، ما هذه القصة الغريبة و كأنها شباك بيت العنكبوت المعقدة ، ما كل هذا الذي حدث ، اكاد أجن.

جاك: و كيف خرجت من السجن ؟

البرت: كنت اتوقع هذا السؤال منذ البداية

البرت: كان معي انا و (لويسا) جواز سفر الماني و هذا يخولني الخروج من السجن كوني لم افعل شيء اما انت فقد كنت بريطاني اي من قوات الاعداء التي كانت تقاتل ضد المانيا ، حالما خرجت سكنت في القرية القريبة من الساحل الشرقي لفرنسا بالقرب من الخندق الذي حفرتموه انت و رفاقك و من بينهم (تيناردية)

جاك: ومن اين لك المال ، فانا من كنت اصرف عليك طوال فترة اقامتنا في باريس؟

البرت: امك اعطتني صندوق به ما يقارب الالفي فرنك و هذا المقدار من المال كما تعلم يجعلني استطيع ان اعيش في قصر من ذهب

جاك: وهل هذا المال من ثروة عمي التي ورثتها وأخذها اهلي

البرت: صدقت، وسوف اقول لك كيف اصبحت ثروة عمك لأهلك عوضا عن ان تصل اليك

انت تذكر بلا شك جوازك السفر الذي اصدر لك قبل سفرك بيومين

جاك : نعم ، وكيف انساه

البرت: يومها بصمت على اوراق على انها تخص جواز السفر، لكن بعضها لم يكن كذلك فقط ورقة منها

للجواز و الباقية تتازل عن جميع املاكك لأبوك السيد المحترم (جون)

وهكذا تكون اكتملت الخطة للسيطرة على اموالك التي لا دراية لك بها و طردك من العائلة

و انا خنتك ايضا و لم اخبرك بالحقيقة من اول الطريق على اساس اني صديقك العزيز لكني كنت بالحقيقة خائنك العزيز

جاك : يا رب السماء ، كل هذا من اجل المال انا لا اصدق ،فانا كنت اعتبر (جورجيت) امي وكنت احس انها تحبني حتى انني لم اشعر باني لست ابنهما

البرت : قلت لك انهما كانا يعرفان كل شيء عن عمك الغني فلذلك اضطرا الى عدم التفريق بينك و بين ابنيهما الحقيقيين لكي لا تشعر انك لست ابنهما و يكتشف امرهما

البرت : وانا اطلب منك ان تعفو عني فانت تعلم حالي فقد كنت بحاجة ماسة الى المال لاني يتيم كما تعلم و ليس لي من ألجأ اليه وقت الشدة و لولا الملجأ لكنت الان ميتا ، اما المال الذي اعتطني ايها امك مقابل ما فعلته لها ، فقد سرق وليس معي الان ان اشتري كسرة خبز

جاك : سامحتك ،لان عذرك مقبول فقد كنت بحاجة بالفعل ، لكن هذا ليس يسمح لك بخيانتي لانه يبقى خطأ ولكن العتاب و اللوم على (جورجيت) و (جون)

البرت : لكن لا تنسى انهم ربوك و اعتنوا بك

جاك: من اجل هدف و غاية دنيئة ، و حاولي ارسالي الى الجحيم لكي يسعدوا باموالي المسلوبة

البرت : كلامك ،صحيح

كان (تيناردیه) موجودا لكنه لم يتكلم البتة لانه لم يكن يعرف عما نتحدث و عن من اصلا

تيناردیه : ماذا سوف نفعل الان يجب ان نغادر فرنسا

جاك: ولماذا نغادرها انا بريطاني و لن تفعل القوات البريطانية بي شيء و انت كذلك لانك فرنسي ومن قوات الحلفاء، حتى انت (البرت) مزق جوازك الالماني كيلا يسعى البريطانيون وراءك للانتقام لحلفائهم الفرنسين

تيناردیه: سوف احرق ثيابنا العسكرية الالمانية

جاك : طبعا ، والا فلن يصدقونا و لو انزلنا السماء

تيناردیه :ماذا ستفعل الان يا مستر(جاك)

جاك: سأنتقم من (جون) و(جورجيت) انتقام وحشي الى ابعد الحدود

البرت: انهم الان في اسبانيا

جاك : حتى و لو في الصين سوف انتقم

جاك: ابقي معك مال يا (البرت)

البرت: لا ،قلت لك انه سرق

جاك : لا مشكلة ، سوف نعمل في احد المحلات

البرت: ولم المال، من اجل السفر

جاك :نعم ، وهل هناك غيره، ومن اجل ان اهرب سلاحي لاقتل به اعدائي

البرت: اجننت ، ستقتل من ربوك و اعانوك في صغرك

جاك : هم من بدأ المعركة ، و البادئ اظلم

البرت: على راحتك ، افعل ما شئت لكن لا تقل لم ينصحني (البرت)من قبل

تيناردية: انا سوف اوفر لكم العمل عند ابي فهو تاجر و يسافر الى البلدان العربية و لديه مطحنة هنا في باريس تسمى مطحنة((السعادة))

جاك : حسنا ،سوف اعمل عنده لمدة شهر انا و(البرت) لنحصل على المال لكي نستطيع تهريب السلاح و السفر الى اسبانيا

تيناردية: سوف اخبر ابي و غدا سوف تستلما عملكما الجديد وسأسعى جاهدا لكي تحصلا على مرتب جيد

جاك : حسنا ، سوف اخرج و اتفق مع احد المهربين لتهريب السلاح الى اسبانيا لانه اهم من سفرنا نحن الى اسبانيا

البرت: انا سوف اذهب معك لاني اعرف احد المهربين الذين كنت اتعامل معهم

جاك : ومنذ متى وانت تعرف المهربين ؟

البرت: كانت اعمل انا في التهريب لكي استطيع العيش و خاصة وان الملجأ يعطيني مال لايكفيني لاسبوع

جاك :دعنا نذهب اليه لاني اريد ان اصل الى اسبانيا في القريب العاجل

خرجنا من الفندق و سرنا وسط شوارعها شبه المزدحمة و كان كلا م الناس كله عن القوات البريطانية و د خولها الى فرنسا و تحريرها من الالمان

وصلنا الى منزل المهرب طرقنا الباب وبعد برهة ،خرج رجل ذو لياقة بدنية عالية و كان حليق الذقن و الشوارب له صلع في مقدمة رأسه

المهرب: اهلن ب (البرت) ومن معه

قدمت نفسي له و عرفته باسمي و دعانا الى الدخول الى بيته ،و قدمت له عرضي على ان يهرب السلاح الى اسبانيا و طلبت منه ان يطلب مني ما احتاج من مال

ضحكت في نفسي لاني قلت منه ان يطلب ما يحتاج من مال ،مع انه ليس لدي مال لكي احجز بالفندق لغد حتى اعطيه ما يشاء

المهرب: كونك صديق ل (البرت) سوف اراعيك

سوف آخذ منك فقط عشرة فرانك

جاك : لك ما طلبت ،متى اعطيك السلاح لتهريبه

المهرب: الان اذا اردت

جاك : انا الذي اريد ولكن لن اعطيك المال الى بعد اسبوع

المهرب : ماذا ، بعد اسبوع ، لن اهرب السلاح الى بعد اسبوع ، او بمعنى اخر حتى استلم الفرنكات العشر

جاك: حسنا ، انتظر اسبوع

خرجت انا و (البرت)من منزل المهرب و انا مسرور لان امر تهريب السلاح تم بسرعة لا بئس بها

عدنا الى الفندق و لم نجد (تيناردیه) فقد ترك رسالة على الطاولة في و سط الغرفة

((صديقي جاك))

سوف ارحل يا صديقي (جاك) و لكن لا تنسى ابي ينتظرك غدا لبدأ العمل انت و (البرت) و اتمنى ان تنفذ كل خطتك حتى لو كان لن يسرني ما ستفعله

حجزت لك اسبوع في الفندق و دفعت كل مصاريفك
ارجو ان لا تنسى انه كان لديك صديق عزيز اسمه
(تيناردية)

((صديقك الذي لن تنساه))

قرأت الرسالة و كنت سأجهش بالبكاء لكني بقيت قويا و
متماسكا

جلس (البرت)على سريره و سرعان ما راح في نوم
عميق مريح

وسرعان ما تبعته فقد كنت انتظر نهاية هذا الاسبوع

استيقظت في الصباح الباكر و قد كان (البرت) قد
استيقظ قبل ان استيقظ انا و قد اعد فطورا مع كأس من
الشاي الساخن

تناولنا الفطور على عجل و ارتدينا ملابسنا و ذهبنا مسرعين نجوب الطرقات الى ان و صلنا الى ((مطحنة السعادة)) هذا كان مقر عملنا لمدة اسبوع

كانت المطحنة تعج بأكياس الخيش و كافة انواع البقوليات و حتى التجار كان كل واحد منهم يعاين البضاعة

الى ان دخلنا الى المطحنة كانت واسعة الى حد ما دخلت الى احدى الغرف انا و (البرت) كان داخل الغرفة طاولة فاخرة و كرسي خشبي عتيق و رجل ذو كرش ضخم بعض الشيء

القيت التحية انا و (البرت) و جلسنا على الكرسيين الموضوعين الى مقدمة الطاولة

عرفت صاحب الطاحونة على نفسي و على(البرت) و قد عرفنا على الفور لان (تينارديه) قد اخبره عنا

قال لي :

صاحب الطاحونة :سوف اعطيكم باليوم خمس فرانك لكل واحد منكم ،هل هذا يكفي ؟

البرت و انا في صوت واحد:نعم يكفي وزيادة

صاحب الطاحونة: اذا اليوم هذه خمس فرنكات لك و خمسة له،اذهبا الى (جورج) و قولا له نريد ان نعمل وهو سوف يجعلكم تعملون في المكان المناسب

ذهبنا الى المدعو(جورج) و قد عملنا عتالين لكن لابأس فقد كان همي الاول المال

حالما انتهى عملنا ذهبنا الى المهرب و اعطيناه عشرة فرنكات و قد و عدنا انه في اليوم التالي سوف تكون الاسلحة في وسط (برشلونة) المدينة التي كان يسكن فيها (جورجيت)و (جون) ابي وامي السابقين

عملنا ليومين اخرين لتجميع عشرين فرنك لثمن السفر الى برشلونة بالقارب

في اليوم التالي ذهبنا الى (مرفكت) و كان هذا اسم الميناء الذي سوف ننطلق منه الى اسبانيا –برشلونة

ظللنا في القارب لمدة يوم كامل و كان البحر في الليل مخيف جدا فلم نكن نرى شيء ابدا غير اضواء السفن الكبرى البعيدة

عند وصولنا الى ميناء (برشلونة) وقف ضابط المختص بمراقبة الجوازات ينظر الينا نظرة ازدراء

المراقب باسبانية بحتة: لماذا جئتما الى اسبانيا؟

(البرت): نريد ان نكمل تعليمنا

بعد حوالي خمس دقائق من الاستجواب و الاسئلة و الاجوبة تم السماح لنا بدخول اسبانيا و الى هدفي المنشود ....للقتل

(البرت): ماذا ستفعل الان

جاك: نريد ان نحصل على السلاح طبعا.

البرت: قال المهرب ان السلاح في الميناء عند ذلك التاجر

ذهبنا الى التاجر و حصلنا على السلاح

جاك: اين يسكن الاوغاد

البرت : في وسط مدينة برشلونة في الشارع السابع

جاك : سنذهب و الان

البرت: كما تريد

من يريد توصيلة .....من يريد

هكذا جاء صوت السائق كان يقف على ناصية الطريق

جاك: انا اريد

السائق: كم تدفع ثمن ، والى اين ستذهب

جاك: عشرين فرنك، والى برشلونة الشارع السابع

السائق : اركبا ، فرحلتنا تحتاج وقتا لابئس به

طال انتظاري في العربة و انا انتظر الوقت كان الادرينالين يندفع داخل جسدي و في كل نقطة من شرياني و بكثرة . اظلمت الدنيا علينا و نحن في طريقنا الى الهدف ، و قد كانت الجياد تعبة بالفعل فانا جالس و قد تعبت لست ادري من اجل قلقي للحظات القادمة ام من جلوسي لاكثر من ساعة

كان الميناء بعيدا عن وسط المدينة

نظرت الى لافتة كتب عليها (برشلونة ترحب بزوارها) عندها تنفست الصعداء فها نحن نقترب

نزلنا من العربة بعد ان و صلنا الى الشارع السابع

و اشار (البرت)الى ذلك البيت و قد عرفت ما يقصد فلم تكن اشارته تحتاج الى شرح او حتى القليل من التفكير

عندما وصلنا كان الليل قد حل و نزل بضيافة اهل برشلونة .

ذهبت وطرقت باب البيت و قد غطيت وجهي بوشاء على انني مريض لكي لا يعرف اخوتي من انا .

فتحت لي فتاة تبدو في الخامسة عشر من العمر كانت و على ما تبدو نسخة مكبرة من اختي الصغيرة ، كانت عيناي قد بدأتا تذرف الدموع لاني اشتقت لاختي التي

هي في الحقيقة ليست اختي و لقد تربيت معها على هذا الاساس.

هي لم تتعرف على لاني كما ذكرت سابقا كنت قد وضعت الوشاح

كرستين: من انت و ماذا تريد؟

دفعتها الى الداخل بكل قوة وللاسف لقولي هذا فليس لها ذنب بكل ما حصل

دخلت الدار ثم التفتت اليها وقلت :اين ابوك او امك

اشارت باصبعها و هي ترتجف من الخوف لكوني امسك سلاحا

توجهت الى الغرفة المنشودة ودفعت الباب بكل قوة حتى ظننت اني كسر الباب

شاهدت السيد الحقير(جون) والسيدة الحقيرة(جورجيت) امي و ابي سابقا .

امسكت سلاحي و بكل عنف و توجهت نحوهما
ازدرد (جون) لعابه بصعوبة وهو يقول :
ماذا جاء بك؟

جاك: من ارسل بي الى هناك حيث تعلم .

جون: انا لا دخل لي بكل الموضوع

صرخت بكل ما لدي من قوة :
كاذب، انت الذي خططت لهذا ايها النذل

جون بدأ يرتجف بشدة لا يستطيع اخفائها و امي ساكتة و هي تبكي بحزن

جاك: وما بك ايها السيدة الفاضلة العجوز

جورجيت: انا لا دخل ابوك خطط و نفذ و دبر كل هذا الذي حصل بك مع اني مانعت كل خططته الدنيئة في البداية

جاك: صادقة ، وانا لم اشك بك منذ اللحظة الاولى

لكن طبعا انا بالنهاية لست ابنك ،وانساك المال كل شيء

جون: الخائن (البرت) اخبرك اليس كذلك

جاك: ليس لك دخل المهم انك فعلتها

جون : اجل انا الذي فعلتها لكن طمعا بالمال و ليس كرها بك

جاك : لو ما تقوله صحيح لأخذت الورثة دون ان ترسلني الى فرنسا لتتخلص مني اليس كذلك

جون : كذب قل ما قاله (البرت) كذب

جاك : امسك و ابصم على هذه الاوراق الفارغة كلها

جون: لن ابصم ، وفعل ما تستطيع.

رفعت البندقية على جبهته و بدأ يرتعش بكل خوف الدنيا

جاك: ما قولك الان

جون: سأفعل ما تامر

وبصم على الاوراق كلها الفارغة طبعا

لم انسى امي(سابقا) فبصمت هي الاخرى على كل الاوراق خوفا من ان تكون احد الاملاك باسمها

دخل الى المنزل شاب في التاسعة و العشرة من عمره و كان اخي (وليم) طبعا.

وشاهد ما شاهده اني اسدد البندقية الى راس والده فصرخ:

ماذا تفعل ساستدعي الشرطة؟

جاك: قف مكانك و الا قتلتك

وليم : حسنا ، لن اتحرك

كان اخي (وليم)جبانا كعادته التي لم تتغير و كانت اختي جميلة كما عهدتها

اطلقت النار على كتف ابي و على كتف امي

انتقاما لما حدث لكتفي في الخندق اثناء الحرب

و اخذا يتألمان في شدة

ذهل (وليم) و(كرستين) لما حدث و خاصة ان المصابين كانا ابوه و امه

خرجت من البيت و وجدت (البرت) ينتظرني

البرت: ماذا فعلت

جاك: اصبتهما في كتفيهما ، انتقاما

البرت: دعنا نهرب قبل ان تاتي الشرطة

جاك : بالفعل ، هيا بنا

البرت: وما هذا الذي بيدك

جاك : اوراق تنازل ، عن جميع ممتلكاتهما التي هي بالاصل لي انا وحدي فقط لاغير

البرت: ممتاز، حسنا فعلت

ركضنا مسرعين الى المقبرة لنتخلص من اسلحتنا وصلنا بعد دقيقة ركض كاملة

جاك: دعنا ندفن الاسلحة ، لكي لا تكون دليل ضدنا

البرت: لا ، لن ندفنهما دعنا نبيعها و نكسب ثمنها فهي باهظة الثمن .

جاك: حسنا ، سنبيعها و الآن لأن الوقت بصراحة ليس في صالحنا

ذهبنا الى تاجر اسلحة و البندقيتين واحدة لي وواحدة ل(البرت) وبعناهما بمبلغ الفي فرنك

جاك : الان يجب ان نملأ الاوراق عند احد المحامين لكي تصبح الاملاك باسمي(جاك سميث)

تجولنا في اروقة المدينة و نحن نبحث عن محامي

وقعت عيني على لافتة كتب عليها المحامي

(كروستوف)

جاك: هيا ، هناك محامي

البرت: هيا ولكن بسرعة لان الشرطة تكون لان نبشت الارض بحثا عنا

بعد اكثر من ربع ساعة عند المحامي اصبحت الاملاك باسمي و بعتها للمحامي نفسه الذي ابدى رغبة في شراءها كلها .

واصبح (جاك سميث) انا اغنى رجل في اسبانيا كلها

البرت: الى اين سنذهب يجب ان نغادر اسبانيا حالا

جاك: ما رايك ان نذهب الى (دمشق) فقد سمعت عنها الكثير و لا تنسى ان بأموالنا سنفتح كثيرا من المحلات و الاراضي الزراعية و حتى الفنادق.

ابتسم (البرت) ابتسامة تدل على اعجابه بالفكرة

البرت: حسنا ، دعنا نذهب

جاك : سوف نستأجر عربة و نذهب بعدها الى سورية بالسفينة .

البرت : قف ايها السائق

وقف السائق و صعدنا معه

البرت: الى ميناء جبل طارق

جاك : احسنت الاختيار فهو الاقرب الى دمشق

البرت: نعم ، فانا ذكي في الجغرافيا خصوصا

بقينا حوالي الخمس ساعات كاملة و نحن في العربة بين طرق و عرة و اخرى سلسة

وصلنا الى مضيق جبل طارق و استاجرنا تذكرة لشخصين في الباخرة المتجهة الى تونس و من ثمة الى طرطوس

عند الميناء كان هناك ضابط المراقبة كالعادة في اي ميناء و طلب جوازاتنا و كانت تلك الطامة الكبرى فانا و لاشك اصبح اسمي معمما على كل المنافذ الحدودية لان الحقير (جون) قد وشى بي بالتأكيد

البرت: لا تقلق البتة

جاك: ماذا لا اقلق كيف ، ايها المتحذلق

البرت : بعض المال يكفي للسكوت عن جرائم قتل بالآلاف .

جاك: كلام سليم ،كم سنضع له في الجواز؟

البرت: ضع حوالى الخمس آلاف

جاك : حسنا امرنا لله ماذا بوسعنا ان نفعل غير هذا

وضعت المال في الجواز و اعطيتها للضابط

وعندما فتح ووجد الخمسة من الالاف ابتسم و وصلت ضحكته الى اذنيه و قال لي مبتسما :

اتمنى لك رحلة جميلة و وصولا سليما

ضحكت في نفسي و قلت ما اجمل المال فهو يلبي كل حاجات الانسان

دخلنا السفينة و كانت فاخرة الى درجة كبيرة

البرت: يبدوا ان الرحلة ستكون سعيدة

جاك: على ما يبدوا

البرت : دعنا ننام طوال ايام الرحلة

جاك : لا تذكرني الا بالدببة القطبية يا(البرت)

نمنا تقريبا طوال فترة الرحلة من عدا فترة كل غداء و عشاء و احيانا كنا نتمشى على سطح السفينة و خاصة في وقت الغروب لان المنظر في تلك اللحظة يخلب لب الدماغ.

في السفينة قابلنا رجل من العرب قال انه من (مصر) و كان يجيد العربية و الانجليزية و كان اسمه (عماد)

البرت: نحن بحاجة ماسة الى (عماد) هذا

جاك : و لماذا نحتاج واحد مثله

البرت: لاننا و بكل بساطة لا نجيد التحدث بالعربية حتى الان على الاقل

جاك: معك كامل الحق ايها الصديق

بعد يومين من السفر المتعب و صلنا الى طرطوس تلك المدينة الساحلية الرائعة النطر كان اهلها لطفاء و كان (عماد) دائما يتحدث عوضا عنا بالعربية

وقد قررت انا و(البرت) ان نبقى في طرطوس وانه لا حاجة لنا في الذهاب الى العاصمة (دمشق)

بعد اقامتنا يومين للراحة في فندق المدينة الوحيد و الكره و البشع

قابلنا احد ملاك الاراضي و ابتعنا منه ارض ضخمة مساحتها تكفي لبناء مطار كامل

استأجرنا جيش من العمال لبناء فندق ضخم

وبعض البيوت احدها لي و ل(البرت) و الباقي لكي أأجره

وقد اصبحنا من ملاك الاراضي و العقارات و من اهم التجار هناك

وكان (البرت) وفي معي الى ابعد الحدود فكافأته بان اعطيته احد الاراضي الضخمة التي اشتريتها مسبقا

في احد الايام جاء الي(البرت) و وجهه متهلل بالفرحة

جاك: ما بك سعيد الى هذه الدرجة ؟

البرت: سوف انصحك نصيحة اذا اعجبتك نفذها

جاك: ماهي نصيحتك الفذة تلك

البرت: سوف نقيم اعمال في محافظات اخرى هنا ربما في (حماة)

جاك : امر ، هام و يحتاج التفكير

البرت: تفكير ماذا يا رجل ماذا دهاك امر سيدر علينا كثير من المال   نرفضه لماذا؟

جاك: من سيذهب الى هناك؟

البرت: انا و انت من غيرنا ؟

جاك: اتعرف العربية جيدا ، فانا لم اتعلمها الى حد الان

البرت : نعم ، اجدتها كما يجيدها اهلها تماما

جاك: و متى موعد السفر؟

البرت: غدا، فقد حددت موعد مع الفنادق هناك و قلت لسائقنا ان يستعد للسفر غدا

جاك: اعددت و جهزت دون علمي

البرت : لا تنسى ان كل هذا لمصلحتك

جاك: نوما هنيئا

البرت: نوما هنيئا

نمنا ملئ جفوننا تلك الليلة و استيقظت في الصباح

كان بيتنا مطل على البحر مباشرة وقفت انظر من النافذة الى ذلك المنظر البديع الذي يبدوا كانه رسم (بيكاسو) نفسه

كانت الامواج تتلاطم على الحاجز الصخري الطبيعي و الشمس كانت قد بدأت تخرج من وسط البحر كان منظرا بديعا بحق.

استيقظ بعدها (البرت) وقد استعدينا الى السفر مباشرة بعد ساعتين

بعد ساعتين جاء السائق و بعد مدة ليست طويلة

وصلنا الى(حماة) كان (البرت) يتكلم العربية بطلاقة بالفعل كما اخبرني حتى اننا لم نحضر معنا (عماد) (مترجمنا الخاص)

كان المنظر الوحيد الفريد البائن من اول المدينة او حتى في كل مكان فيها هي (النواعير) التي كانت تدور في نهر(العاصي) الذي كما علمت كان امتداده في مدينة(حمص).

اشترينا الاراضي التي قررنا ان نقيم فيها بعض مشاريعنا مثل: المشفى – الفندق و البيوت المتعددة

البرت: ما رأيك ان نبني سوق ضخمة متكونة من العديد من المحلات المتلاصقة

جاك: فكرة صائبة ،لما لا ، افعل ما شئت ، فانا اثق بك ثقة عمياء

بعدها بشهر من اقامتنا في (حماة) رجعنا الى مدينة(طرطوس) مركز اعمالنا التي كان يدير اعمالنا هناك طيلة غيابنا في (حماة) هو (عماد) الذي كان اكثر شخص اثق به انا و (البرت)

بعد مدة سنتين انتشرت اعمالنا في كل مكان في سوريا تقريبا

واصبحنا من اغنى اغنياء سوريا كلها

جاك: اتذكر يا(البرت) كم كان معنا من المال في بداية الامر و كم معنا الان ؟

البرت: طبعا و كل هذا بعملنا و تعبنا و ذكائنا و رأس المال من عمك

رحنا نضحك مع بعضنا حتى دمعت اعيننا

في احد الايام دخل (البرت) و انا(الاسلام) فقد كنا من الدين المسيحي

بعد ان دعانا اليه (عماد) و اخذنا الى احد الشيوخ في احد المساجد

بعد شهر تزوج (البرت)من احد النساء التي كانت جميلة جدا و تدعى(سيرين)

كانت ايامي متشابهة و لساني لا يعرف النطق غير بالمال و بدأت احس انني اصبحت جشعا الى حد كريه

جاك: سوف ابني مأوى للايتام امثالي و امثالك

البرت: كما تريد

بعد ان شاع خبر في (طرطوس) فرح الناس جدا

و خاصة اليتامى و اصبحنا كل ما نمر بالشارع يصيح الناس باسمائنا العربية طبعا فقد غيرناها

و يشكروننا و الاطفال يرقصون في الشوارع

(البرت) اصبح (عبد الله)

(جاك) اصبحت (مازن)

بعد شهرين اكتمل بناء دار الايتام و افتتحت الدار انا و (عبدالله)(البرت سابقا)

كان مما لفت نظري اثناء الافتتاح قدوم فتاة حسناء يتيمة طبعا تريد اللجوء الى الدار فقدمت طلبها الى الموظف الذي عينته هناك

بعد مجيء تلك الفتاة الى الدار التي عرفت من الموظف ان اسمها (سناء) كنت اظل شارد الفكر ،حتى ان (عبد الله) (البرت سابقا) لاحظ هذا

عبد الله: ماذا بك شادر الذهن

مازن(انا)(جاك): تلك الفتاة

عبد الله: سناء ، اليس كذللك

مازن: كيف عرفت ؟

عبد الله : لاحظت ذلك منذ افتتاح الدار ذللك اليوم

مازن : نعم تلك الفتاة خلبت لب دماغي يا رجل

عبد الله : غدا ، نذهب و نخطبها من ......

مازن: من الشيخ نخطبها من الشيخ كون اهلها متوفين

عبدالله : عارف بكل شيء ، مسبقا يا سيد (مازن)

ضحكنا سويا و قد قررنا ان نذهب غدا و نخطبها

خطبناها و تزوجنا في نفس الليلة و في نفس الليلة رزق (عبدالله)بمولود صبي سماه(حسن)

عشنا حياة سعيدة لمدة عشر سنوات تقريبا و اصبح لدي من الاولاد صبيين و ابنتان

و عبد الله اصبح لديه ابنتين و صبي

كنا سعيدين في هذه الحياة و خاصة ان كل اسبوع
نسافر الى احد المحافظات لكي نستمتع و تكون رحلة
مسلية لنا و لاولادنا

الى ان جاء الاستعمار الفرنسي الى سوريا و احتلها لكن
نحن و الحمد لله لم نتأثر لاننا كنا (انجليزين) بالاصل و
لم نخبرهم بامر اسلامنا لانه كان دليل كافي لقتلنا فهم
يكرهون كل مسلم بكافة اطيافه و خاصة وان كان خائن
مثلنا.

و يوم من الايام جاء الى بيتي احد الجنود و قد كان
هارب الثوار الذين يلاحقونه ليقتلوه

كانت الصدمة انه اخي السابق (وليم) و عندما عرفته و
ناديت باسمه باعلى صوتي التفت الى و عرفني بدوره
و اشهر مسدسه في كتفي عرفت انه سوف ينتقم ل والده
و والدته و دوى صوت اطلاق النار و اخترقت
الرصاصة كتفي و رحت غائبا عن الوعي

و عندما استفقت كنت داخل المستشفى التي اقمتها و كان (عبد الله) اصيب مثلي و كان هو نفسه (وليم) هو الذي اصابه

خرجت من المشفى

وقد تعلمت انه:

افعل كما شأت فكما تدين تدان

وهذا ما حصل معي

و مازلت اعيش في (طرطوس) الى ان توفيت بعد ان بلغت من العمر الثمانين سنة

هكذا قضيت الحياة انا :

(جاك سميث)

او

(مازن)

تم بحمد الله

الشارقة

٢٠١٦/٤/٧